

﴿ منهل الورد ﴾

(في علم الانتقاد)

هو كتاب في علم النقد صنفه سعادة الكاتب المجيد والشاعر المبدع قسطنطين بك الحمصي واهدانا نسخة الجزء الاول منه فوجدنا فصوله في علم النقد آخذاً بعضها برقاب بعض مبتدئاً منها بتاريخ هذا العلم عند العرب وعند سائر الامم والقرون المتوسطة والحديثة ثم ذكر علم الادب وموضوع النقد وانتهى الى قواعد الانتقاد ففصلها تفصيلاً وذكر كل شروط النقد مع الموازنات في كل دواعي القول من ثر ونظم حتى لم يترك من هذا القبيل شاردة الا احصاها وقيدتها مستخدماً في سبيل ذلك بصيرة نقادة وقلبا واعياً وتنبيهاً لا يدري مقداره الا من عانى شيئاً من هذا الفن ووجد ما ينبغي له من كد الذهن والتنبه الى الصغائر التي تدل على الكبائر وتستكشف بها الحقائق ولذلك يكون عمله جديداً مبتدعاً ليس من حيث ان امثاله من للعرب قد قصروا في هذا الفن بل من حيث ان العمل نفسه جديد لما ضمنه من الخواطر والاراء التي زاد بها عن حد المكمل لتقصيرهم حتى انالوا فرضنا انهم كتبوا في هذا الفن وعقدوا له الكتب المستقلة به فانهم ما كانوا خرجوا عن الحدود التي رسموها لنفوسهم اي انهم ما كانوا الا مطولين غير متبينين الى شيء سوى الذي تنبهوا اليه اولاً وهذا نقوله من قبيل القياس الى ما بدا منهم لا غير

ولقد وجدنا حضرة المصنف كانه مشارك لنا في الذي اخذناه مرة على البحري حين قوله يعزي ابا نهشل الطوسي عن ابته
اتبكي من لا ينازل بالسيف مشيحاً ولا يهز اللواء
ولذلك رأينا ان نقل انتقاده كإضافة وتكملة لانتقادنا القديم وهذا ما ورد منه في المنهل

« اما همزية البحري فليست في شيء من التميز او الرثاء بل أخرى بهذا الشعر ان يدخل في باب الهجاء وهي زلة من زلات البحري وهفوة من هفواته فانت تعلم ان الولد عزيز على والديه ذكراً كان ام انثى اذ المحبة لا تولد في قلب الانسان من عامل عقلي بل طبيعي وان من يشاهد حسناء لا يقع في هواها بعد طويل التبصر ومراجعة الفكر او امل الوصول الى ربح منها او نفع بل انما هو يدفع الى محبتها بفاعل طبيعي ولعله سر من اسرار الجاذبية الغامضة - ولما كان الحب مشتركاً فيه الحيوان الاعجم والحيوان الناطق فانظر الى الكلبة كيف ترضع اجراءها بالسوء والى الحمامة كيف ترق فراخها دون استثناء ايكون الانسان ادنى رتبة من الحيوان ويعرى من اشرف منزلة يتحل بها في كل زمان ؟ والعجب من البحري فيما جاء به في هذه القصيدة وهو يعلم ولا شك ان كثيراً من الحيوانات الاعجم يبكي لفقد ولده ويتألم لا يفرق او لا يميز بين الذكر منه والانثى فكيف يطلب من صاحبه ان لا يبكي ابته وان يعد موتها حسنة من حسنات الايام انتهى والذي نراه ايضاً ان الذي يظهر من العرب انهم لم يكتفوا باحتقار المرأة الى الحد الذي دعا صاحب المنهل الى الرد على البحري ووصف رثائه

بالهجاء بل كانوا لا يرون من المختار ذكر محاسن المرأة حين ترثي كما روي
عن ابن وكيع في اعتراضه على المتنبي لقوله في ام سيف الدولة
سلام الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

فان ابن وكيع لم يستحسن ذكر الجمال هنا لا شيء فيما نظن الا
لكونه يرى ذكره مما يدعو الى الارتباب في صيانة المرأة المريثة من نحو
ان يكون الراثي قد رآها فدرى انها جميلة او عاشرها مثلاً او انها ممن
يتحدث الناس بهن في الاسواق او المجتمعات ونحو ذلك مما يعدونه غير
لائق ولذلك لم يكن احد من الشعراء يذكر امرأة حين رثاها بانها جميلة
اذا كانت كذلك حقيقة مع انهم يذكرون الرجال كما فعل ابو تمام في رثاء
اخيه علي حين الجمال هو حلية النساء دون الرجال وجدير بان يكون فخراً
لهن ومنقبة يذكرن معها بالخير لانها هبة من الله والله لا يحب الا الطيب
من الناس . الا ان المتنبي قد انفرد دونهم بذكر الجمال وهو سواء شفع
قوله بذكر الصيانة والعفاف او لا فلا غبار يعلق بادابه لانه كان يكشف
الحقيقة فيما يقول فلا يرى في ذكر الجمال عاراً . ثم ان ام سيف الدولة التي
ذكرها بالجمال كانت كبيرة شيئاً فيؤخذ معنى الجلال من جمالها ولكنه رثي
اخت سيف الدولة وكانت شابة فقال فيها

وهما في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في الهو واللعب
يعلمن حين يحيي حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب

فانه صرح بحسن مبسمها الدال على جمالها وشفع ذلك بذكر الصيانة كما
فعل في رثاء ام سيف الدولة دون ان يعتقد ان سيف الدولة او سواها يؤاخذها
على ذكر هذا الجمال وحسن المبسم ثم قال

ولا ذكرت جميلاً من صنائعها الا بكيت ولا ود بلا سبب
وقال

وهل سمعت سلاماً لي الم بها فقد اطلت وما سلمت عن كشب
فانه وصل الى ذكر السلام والمودة وهو اجل من ذكر الجمال وفي
هذا ما يدل على ان المرأة لم تكن محتقرة مسجونة في بلاط سيف الدولة
وقصره بل كان مثل المتنبي يرى اخته على الارجح . واذا كان مارآها على
حد ما قال

قد كان كل حجاب دون رؤيتها فما قنعت لها يا ارض بالحجب
فانه كان يبعث اليها بتحياته وتبعث اليه بهداياها وثنائها عليه وتقرأ
قصائده ولذلك ما استخف موتها كما فعل البحري ولا ذكر ان من العجز
بكاء الرجال على النساء بل لقد صرح تصريحاً بشدة حزنه على اخت سيف
الدولة وقال انه بكى بكاء مراراً لفقدائها وفي ذلك يقول

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

ولقد كان اسم تلك الفقيدة خولة ولكن المتنبي ما ذكره بل قال
كان فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب
فأضر لو ذكر اسمها وهو قد ذكر جمالها وسلامه عليها

ولقد دافع صاحب المنهل عن المرأة دفاعاً حسناً وعاتب الوليد عتاباً
شديداً حتى كأنه كان ينشده قول المعري فيه بمثل هذه الحال

ذم الوليد ولم اذمم دياركم فقال ما انصفت بغداد حوشينا
فلو لقيت وليداً والنوى قد ف يوم القيامة لم اعدمه تبكيتا

فاذا كان ابو العلاء يبكت الوليد يوم القيامة لو لقيه من اجل مذمة بغداد فلا شك ان صاحب المنهل لا ينفك عنه حتى يعاقبه بالسجن لان ذم المرأة على كل حال اشد من ذم بغداد

ولقد انتقد اقدم هذا الكتاب في جريدة الظاهر الغراء فكانت في جملة ما دافع به عن حرية شعراء العرب وعدم تهيبهم بمدوحهم قوله ان مسلماً بن الوليد لم يكن يتهب بمدوحه بدليل قوله لاحد من واقسم لولا حاجز الود بيننا . وكان مع العتي المودة والفضل وانملة قدمتها لك لا يد اساءكمني ماسررت به من قبل فان ذاك المدافع قد زعم ان مسلماً كان يخاطب رجلاً من الاكابر والحقيقة على ما نعلم انه كان يخاطب بتلك الايات امرأة كان طلقها وفي جملتها يقول فبيني فقد فارقت غير ذميمة قضاء دعانا للقطيعة لا الاختل ويقول ايضاً منها

سلوت ولو قال العواذل لا يسالوا واقسمت لا يرقى الى مسمعي العذل وعلى هذا تكون حرية مسلم في مخاطبة امرأة لا رجل وقد تاذب في الذي خاطبها به ولكنه لو كان يخاطب يزيداً الشيباني مثلاً وهو من جملة مدوحيه لما جسر فيما نظن ان يواجهه بمثل تلك الهجة

وانما ما اخترنا ذكر المرأة آنفاً لالعلاقتها بهذه الجملة ولذلك نشكر صاحب المنهل بالخصوص لدفاعه عنها ثم نشكره لما عاناه من نشر هذه المباحث المفيدة التي توسع مدارك القارىء وتغرس في نفسه حب النقد والتنبه الى ما يريد انتقاده والاحاطة بجميع جوانبه

كتاب اولادي - (تابع ما قبله)

الفصل الاول

الارادة والاخلاق

تعلم ان تكون صاحب ارادة وقم بما هو واجب عليك . بهذه الكلمات القليلة تلخص شتى الوصايا التي يشاد عليها بناء الحياة الشاهق لا جرم ان القيام بالواجب هو الوصية الذهبية التي تعتبر فريدة عقد السلوك والمرجح الاكبر في التأثير على حياة الانسان ومركزه . ولكن للعمل بها لا يكفي ان يرغب الانسان في ذلك بل ينبغي ان يكون قادراً على العمل وان يكون صاحب ارادة ونشاط وله سلطان على نفسه يقودها حيث شاء ولا تقوده الاميال والاهواء . وفي هذه النقطة من الصعوبة ما لا يخفى بل هذه هي النقطة التي يتحتم على الشاب الداخل في الحياة ليخوض غمارها ويدفع تيارها ان يصرف في سبيلها كل جهده وقواه لتهديب نفسه وتقويم معوجها بحيث يصبح مطلق التسلط عليها وعلى جميع نزعاتها وعلى جسمه وعلى كل حركاته واعماله

وكل من امكنه التسلط على نفسه امكنه ان يكون رجل خير وبمعنى اعم امكنه ان يكون ولي الامر في تصريف الشؤون التي تتعلق بحياته وان يوفر لنفسه اسباب السعادة والهناء

ولكن كيف يتيسر للانسان ان يضمن تأثير هذا السلطان الدائم على